(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)

القرآن هو المعجزة الخالدة، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، والنور المبين، والسراج الذي لا يَخبو ضياؤه، والشهاب الذي لا يُطفأ نوره وسناؤه، والبحر الذي لا يُدرَك غَوْرُه، هو كتاب الله تعالى، فيه نبأ ما كان قبلنا، وخبرُ ما بعدنا، وحُكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، مَن ترَكه من جبَّار، قصَمه الله - جل جلاله - ومن ابتغى الهدى في غيره، أضلَّه الله تعالى، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، هو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تَزيغ به الأهواء، ولا تَلتبس به الألسنة، ولا تتشعَّب به الآراء، ولا يَشبع منه العلماء، ولا يَمَله الأتقياء، ولا يَخلَق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تَنته الجن إذ سمِعته حتى قالوا :﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا *يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ الجن: 1 - 2.

من علِم علمه سبَق، ومن قال به صدَق، ومن عمِل به أُجر، ومن حكَم به عدَل، ومن دعا إليه، هُدِي إلى صراط مستقيم، هو الكتاب الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: 42.

القرآن أعظم ما أنزله الله ، به حياة الأرواح وغذاء القلوب.

قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17)

والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله. السعدي

لا شك أن الوحي غذاء الروح ، كما أن الطعام غذاء الجسد، إذا منعنا الطعام عن الجسد يموت ، وكذلك إذا منعنا الوحي عن القلب يموت ، يجب علينا أنْ نعتني بتغذية أرواحنا وقلوبنا ، بالعلم النافع حتى نطهرها، ونزكيها ، ونرتقي بها لسلم الكمال والقرب من الله.

استخلاف آدم في الأرض ⇦(تجربة تمهيدية).

لم يخلق الله جلّ وعلا بني آدم عبثاً إنما خلقهم لمهمة عظيمة وكبيرة، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) [المؤمنون: 115] فمن غير المعقول أن يخلقنا الله على هذه المعمورة ويسخر لنا كل ما حولنا في الكون من جبال وبحار وأنهار ومحيطات وشجر وحجر وكائنات ويخلقنا في أحسن وأبهى صورة، ويكرمنا هذا التكريم ويخصه لنا بني البشر، فقط لنأكل ونشرب ونتكاثر ونلهو ونلعب، إنما خلقنا البارئ لمهمة عظيمة وجسيمة من أدركها وعمل بها نال الخير في الدنيا والآخرة.

إذا أردت أن تقوم بواجبك وهو الخلافة في الأرض يجب أن يكون عندك علم لذا علّم الله تعالى آدم الاسماء كلها .

حتى تنجح في الخلافة يجب عليك أن تعلم ثلاث: ۞من الله؟ ۞ومن الناس؟ ۞ومن أنت؟

تكلمنا سابقا عن ❶البعوضة ❷الإحياء والإماتة ❸خلق السماوات والارض هذا الكتاب المنظور الذي يملئ قلبك علما عن الله، فتعظمه وتكبره وتنحني ذلا بين يديه، فأحقر مخلوق

البعوضة واعظم مخلوق السماوات والارض ومعجزة المعجزات الإحياء والإماته ، تنادي أنه لا اله الا الله ،ولا معبود بحق الا الله ، يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى .

⇦والآن نتكلم عن الآية الرابعة من الآيات الكونية الدالة وحدانية الله وهو خلق آدم .

✉ذكر الله ثلاث نماذج في الخلافة، وعلينا نحن امة المسلمين أن نتعلم من تجارب الذين سبقونا وأن نستشعر الأخطاء التي وقعت فيها الامم السابقة ونعرضها على أنفسنا دائما لنرى ان كنا نرتكب مثل هذه الاخطاء فتوقف عن ذلك ونحذو حذو الامم السابقة الذين نجحوا في مهمة الاستخلاف في الارض.

❶ استخلاف آدم في الأرض (تجربة تمهيدية) (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)

❷ نموذج فاشل من الاستخلاف في الأرض بني اسرائيل (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)

❸ سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام نموذج ناجح للإستخلاف في الأرض (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)

📃هذه النماذج الثلاث بدايتها واحدة وهي الاستخلاف في الارض.

📃وايضاً اختبار نماذج مختلفة من الناس في طاعة الله تعالى.

📄فاختبار سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام كان في طاعة الله (أكل من الشجرة ام لا).

📄واختبار بني اسرائيل في طاعتهم لأوامر الله من خلال رسوله فشلوا.

📄واختبار سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ابنه اسماعيل ايضا اختبار طاعة لله تعالى (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ).

✉ والخلاصة أن الآمة مسؤولة عن الارض والفرد أيضا مسؤول وللقيام بهذه المسؤولية فهو محتاج للعبادة وقبلها للعلم.

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) .

✉ قال السعدي : هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض.

📄ولآدم فضائل:

⇦أنه أبو البشر و ما جاء في حديث الشفاعة الطويل لما يأتون الناس إليه (يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ...) بخاري ومسلم

⇦في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾(ص 72).

⇦و نسبة الروح إلى الله تعالى في الآية تدل على التَّكريم والتَّشريف لآدم عليه السلام.

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75)ص

✉ (فهذه أربع تشريفات، خلقه الله بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلمه أسماء كل شيء).

⇦(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)

✉ يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم فقال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ) أي واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك ، حين قال ربك للملائكة .الميسر

⇦إثبات الملائكة ، فالإيمان بهم من أركان الإيمان .

قال ε في بيان أركان الإيمان (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) متفق عليه .

الصفات الخَلقية

❶خلقهم الله تعالى من نور.

❷خلقهم الله تعالى بخلق عظيم لايمكن لأحد أن يتصوّره، وذلك من حيث الجمال والقوّة، كما أنّ لهم أجنحة متعدّدة، تختلف في عددها من ملاك لآخر، فجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، كما أنهم متفاوتون في الطول، أمّا ملائكة النار فهم غلاظ شداد.

❸ميزهم الله تعالى بالقدرة على التشكّل، والظهور بصورة تختلف عن هيئتهم التي خلقوا بها، ولم يرهم أحد بصورتهم الحقيقية إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❹ خلقهم الله تعالى قبل آدم عليه السلام.

❺جعل الله تعالى منازلهم ومساكنهم في السماء، وهم ينزلون إلى الأرض تنفيذاً لأوامره.

❻لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتعبون، ولا يملون.

❼ لم يتمّ وصفهم بالذكورة أو الأنوثة.

❽لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

❾ ليس للبشر القدرة على رؤيتهم.

الصفات الخُلقيّة

❶ عباد مكرمون: فهم سفراء الله تعالى إلى رسله، وهم كرام بررة كما وصفهم القرآن الكريم، قال تعالى: (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ)، [سورة عبس:15،16]، فإن أخلاقهم وأفعالهم طاهرة كاملة.

❷ الحياء: عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أستَحْيي ممَّن تستَحْيي منه الملائكةُ إنَّ الملائكةَ لتستَحْيي من عثمانَ).

❸الطاعة: فهم لا يعصون الله تعالى، وينفّذون كلّ أوامره.

أعمال الملائكة:

❶حمل عرش الرحمن، وعددهم ثمانية.

❷لعن من يرتكب الذنوب والمعاصي، وإنزال العذاب بالكفار.

❸محبة المؤمنين، والصلاة عليهم، وتأمين دعائهم، والاستغفار لهم.

❹ قبض أرواح البشر.

❺ وجود مَلك للجبال، وللسحاب، وللرعد، وللبنات.

❻تسجيل وإحصاء أعمال الإنسان، وقد وُكّل بذلك ملكان من الملائكة لكل إنسان.

ونؤمن بالتفصيل ببعض أعمالهم التي ثبتت بالنصوص :

⇦ فمنهم من أوكل الله جل وعلا إليه إنزال الوحي، وهو جبريل، ومنهم من أوكل الله جل وعلا إليه جريان السحاب وتقسيم الأمطار على الأقطار، وهو ميكال، ومنهم من أوكل الله إليه النفخ في الصور، وهو إسرافيل، ومنهم من أوكل الله إليه قبض الأرواح، وهو ملك الموت، وغيرهم آخرون كثر، قال الله جل وعلا عنهم: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) [المدثر:31].

وعظم عبادة الملائكة لربها كم عدد الملائكة، المعظمين المسبحين المهللين ، الركع ، السجد ، لا يعلم عددهم الا الله :

وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لله تَعَالى) رواه الترمذي السلسة الصحيحة

(**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ**) يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم فقال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ) أي واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة واقصص على قومك ذلك ، حين قال ربك للملائكة .

(**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) أي : قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل. ابن كثير

(**قَالُوا**) أي : الملائكة .

(**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا**) بالمعاصي .

(**وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**) هذا تخصيص بعد تعميم ، فإن سفك الدماء من الفساد ، لكن خصص لعظيم مفسدته ،

فإن القتل من أكبر الكبائر .

⇦وهذا فيه دليل على أن الملائكة لا تعلم الغيب ، فالغيب لا يعلمه إلا الله كما قال تعالى (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ (65) النمل .

قال ابن كثير : قول الملائكة ليس على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهمه بعض المفسرين، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول أي لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه ، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك .

✉ فإن قيل : كيف عرفت الملائكة أنه سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء؟

قال القرطبي :

فقيل: المعنى أنهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن في بني آدم من يفسد ؛ إذ الخليفة المقصود منه الإصلاح وترك الفساد ، لكن عمّموا الحكم على الجميع بالمعصية ؛ فبيّن الربّ تعالى أن فيهم من يفسد ومن لا يفسد فقال سبحانه (إني أَعْلَمُ) وحقّق ذلك بأن علّم آدم الأسماء ، وكشف لهم عن مكنون علمه.

وقيل: إن الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء ، وذلك لأن الأرض كان فيها الجن قبل خلق آدم فأفسدوا وسفكوا الدماء ، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة فقتلهم وألحقهم بالبحار ورؤوس الجبال ، فمن حينئذ دخلته العِزّة.

⇦فقالت الملائكة عليهم السلام: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) بالمعاصي

(وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) [و] هذا تخصيص بعد تعميم، لبيان [شدة] مفسدة القتل، وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا الباري عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة.

فقالوا: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ) أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، (وَنُقَدِّسُ لَكَ) هو التطهير والتعظيم ⇦ يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص،
⇦ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة. السعدي

✉ قال الله تعالى للملائكة: (إِنِّي أَعْلَمُ) من هذا الخليفة (مَا لا تَعْلَمُونَ) ؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق، ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليتبين عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك. السعدي

✉علم الله تعالى أنه سيكون فِي الأَرْضِ مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وأنه سيكون فيها مجرمون فجرة، وعلم أنه سيكون فيها مؤمنون صالحون، وأتقياء برره، ولوجود هؤلاء الصالحين البررة، جَعَلَ فِي الأَرْضِ خَلائِفَ، يعمرون الأرض بعبادة الله، ويسمعون الكون ذكر الله، ويرفعون في الأرض كلمة الله.

فكن من هؤلاء الصالحين، الذين نَوَّهَ اللهُ تعالى بذكرهم فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى قَبْلَ إِيجَادِهِم، ورفع شأنهم أمام ملائكته، واثنى عليهم قبل أن يخلقهم.

تشفق الملائكة من الإفساد في الأرض ومن سفك الدماء، وهم الذين ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾، وبعض الناس لا يعرف إلا الإفساد، يسفك الدماء، ويزهق الأرواح، ليل نهار، ولا يطرف له جفن، ولا يحرك ساكنا، ماتت قلوبهم قبل الممات، وما لجُرحٍ بميِّت إيلامُ ، كأنه وحش في غابة، أو كأنه آلة جامدة، جسد بلا قلب، وشبح بلا روح. سعيد مصطفى ذياب

ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، أراد الله تعالى، أن يبين لهم من فضل آدم، ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه

فـ (عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أي: أسماء الأشياء، وما هو مسمى بها، فعلمه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني، حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصيعة.

سبحانه لما أراد إظهار تفضيل آدم وتمييزه وفضله ميزه عليهم بالعلم، فعلمه الأسماء كلها، فدل على أن العلم أشرف ما في الإنسان ، وأن فضله وشرفه إنما هو بالعلم.

(ثُمَّ عَرَضَهُمْ) أي: عرض المسميات (عَلَى الْمَلائِكَةِ) امتحانا لهم، هل يعرفونها أم لا؟.

(فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة.

(قَالُوا سُبْحَانَكَ) أي: ننزهك من الاعتراض منا عليك، ومخالفة أمرك.

(لا عِلْمَ لَنَا) بوجه من الوجوه (إِلا مَا عَلَّمْتَنَا) إياه، فضلا منك وجودا،

قال القرطبي : الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم : الله أعلم ، ولا أدري ، اقتداء بالملائكة والنبيين والفضلاء من العلماء .

قال تعالى (وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)36الاسراء.

(أنَّ رجلًا سألَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أيُّ البِقاعِ خيرٌ ؟ وأيُّ البِقاعِ شرٌّ؟ قالَ لا أدري حتَّى أسألَ جبريلَ عليهِ السَّلامُ فسألَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقال لا أدري حتَّى أسألَ ميكائيلَ فجاءَ فقالَ خيرُ البقاعِ المساجدُ وشرُّ البقاعِ الأسواقُ) الترغيب والترهيب

كلُ علمٍ فمصدرُهُ الله تعالى، وكلُ فضلٍ فمرجِعُهُ إلى اللهِ تعالى، فلا تتكبرْ بعلمك على خلقِ اللهِ، وَلا تَمْنُنْ بفضلِك على أحدٍ أحسنتَ إليه، وتذكر أن الله أخرجك من بطن أمك لا تعلم شيئًا، وأعطاك من وسائل العلم ما يعينك على تحصيله، ومن أسبابِ المعرفةِ ما يقربك إلى ربك. سعيد مصطفى ذياب

(إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)

العليم : سبحـــان العالم بكل شيء، الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم؛ فلا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، يعلم دبيب الخواطر في القلوب حيث لا يطلِّعُ عليها المَلَك، ويعلم ما سيكون منها حيث لا يطلِّعُ عليه القلب.

✉الذي أحاط علما بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

✉علمٌ بما كـــان، وما هو كـائن، وما سيـكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، أحـــاط علمه سبحانه وتعالى بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها.

- الآثار المترتبة من علمنا بأن الله عليم بكل شيء .

❶ : الخوف من الله وخشيته ، ومراقبته في السر والعلن ، لأن العبد إذا أيقن أن الله تعالى عالم بحاله مطلع على باطنه وظاهره ، فإن ذلك يدفعه إلى الاستقامة على أمر الله ظاهراً وباطناً .

❷ إن يقين العبد بعلم الله تعالى الشامل لكل شيء ، ومن ذلك علمه سبحانه بحال عبده المصاب وما يقاسيه من الآلام ، إن ذلك يثمر في القلب الرجاء والأنس بالله ويدفع اليأس والقنوط من القلب .

الحكيم: اسم من أسماء الله متضمن لصفة الحكمة الكاملة لله تعالى ، فأوامره وأحكامه وأفعاله كلها لحكمة .

والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به،

✉وقال السعدي: فلا يخلق شيئاً عبثاً ، ولا يشرع سدى ، الذي له الحكم في الأولى والآخرة ، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك ، فيحكم بين عباده في شرعه ، وفي قدره ، وجزائه ، والحكمة : وضع الأشياء مواضعها ، وتنزيلها منازلها .

⇦فهو سبحانه حكيم في صنعه ، وحكيم في شرعه ، ❁فجميع مصنوعاته كلها محكمة ، قال تعالى (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ)

❁وأما في الشرع فيقول سبحانه (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) فلا يمكن أن يوجد تناقض في القرآن أبداً .

✉قال ابن جرير : هو الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل .

الآثار المترتبة على معرفتنا باسم الله الحكيم :

❶ : أن الله خلق الخلق لحكمة عظيمة، وغاية جليلة وهي عبادته سبحانه حيث قال (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) . ولم يخلقهم عبثاً وباطلاً كما يظن الكفار والملاحدة ، قال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) . وقال تعالى (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) .

❷ ونستفيد من معرفتنا أن الله حكيم في كل أفعاله : اقتناع الإنسان بما يجري عليه وما يوجبه الله عليه ، لأن ما يجريه الله – عز وجل – من الأحكام مقرون بالحكمة ، فإذا علمت هذا يقينياً اقتنعت سواء كان هذا من الأحكام

الكونية أو الأحكام الشرعية ، حتى المصائب التي تنال العباد لاشك أن لها حكمة .

❸ والواجب عدم الاعتراض على أوامر الله وحدوده ، لأن كل شيء يفعله لحكمه .

✉ فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترافهم بفضل الله عليهم ; وتعليمه إياهم ما لا يعلمون.

فحينئذ قال الله: (يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة; فعجزوا عنها،

(فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) تبين للملائكة فضل آدم عليهم; وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة،

(قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) وهو ما غاب عنا; فلم نشاهده، فإذا كان عالما بالغيب; فالشهادة من باب أولى،

(وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) أي: تظهرون (وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) .

✉فيه عموم علم الله تبارك وتعالى وأنه يعلم السر والعلن ، والظاهر والخفي .

كما قال تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) وقال تعالى (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) .

(وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(34)) البقرة

ثم أمرهم تعالى بالسجود لآدم; إكراما له وتعظيما; وعبودية لله تعالى، فامتثلوا أمر الله; وبادروا كلهم بالسجود،

✉والسجود لغير الله بمعنى العبادة حكمه كفر، لكن في هذا الموضع السجود تعظيم لله لأنه امتثال أمره لا عبادة آدم ، ولا سجود إلا بأمر الله ، والأمر إن كان ممتثلاً به أمر الله فالمطاع فيه الله.

✉وقال الآلوسي: وحكمة الأمر بالسجود إظهار الاعتراف بفضله عليه السلام .

(إِلا إِبْلِيسَ أَبَى) امتنع عن السجود; واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا

قال تعالى (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

✉وهذا قياس فاسد الاعتبار لأن الطين خير من النار ، لأن النار طبيعتها الطيش والإفساد والتفريق ، والطين طبيعته الرزانة والإصلاح .

⇦وهذا الإباء منه والاستكبار; نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه; فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره.

✉الواجب الحذر من الرجس والسريرة الخبيثة ، لأن إبليس غلبه ما في قلبه من الرجس والسريرة الخبيثة حتى استكبر وأبى .

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) .

✉قال ابن عاشور: قوله تعالى (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ ...) عطف على (وقلنا للملائكة اسجدوا) أي بعد أن انقضى ذلك قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وهذه تكرمة أكرم الله بها آدم بعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاءِ الملائكة ، ونداء آدم قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملإ الأعلى ، لأن نداءه يسترعي إسماع أهل الملإ الأعلى فيتطلعون لما سيخاطب به

لما خلق الله آدم وفضله; أتم نعمته عليه; بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها; ويستأنس بها; وأمرهما بسكنى الجنة; والأكل منها رغدا; أي: واسعا هنيئا، (حَيْثُ شِئْتُمَا) أي: من أصناف الثمار والفواكه;

(وَكُلا مِنْهَا رَغَداً) أي هنيئاً واسعاً طيباً .

(حَيْثُ شِئْتُمَا) أي : من أيّ مكان من الجنة أردتما وفي أي زمان .

وقال الله له: (إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى)

(وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) نوع من أنواع شجر الجنة; الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحانا وابتلاء [أو لحكمة غير معلومة لنا]

(فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) دل على أن النهي للتحريم; لأنه رتب عليه الظلم.

⇦أي فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله ، بمخالفة أمره .

فلم يزل عدوهما يوسوس لهما ويزين لهما تناول ما نهيا عنه; حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه.

(وَقَاسَمَهُمَا بِاللهِ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)

⇦فاغترا به وأطاعاه; فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والرغد; وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة.

✉الحذر من مكايد الشيطان ، فإنه كاد للأبوين بالأيمان الكاذبة أنه ناصح لهما وأنه إنما يريد خلودهما في الجنة .

قال الرازي : اعلم أن في هذه الآيات تحذيراً عظيماً عن كل المعاصي من وجوه :

❶: أن من تصور ما جرى على آدم عليه السلام بسبب إقدامه على هذه الزلة الصغيرة كان على وجل شديد من المعاصي .

❷ : التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص .

❸ : أنه سبحانه وتعالى بين العداوة الشديدة بين ذرية آدم وإبليس ، وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر.

قال تعالى (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) .

(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا) أي استزلهما ، وأوقعهما في الزلل وهو الخطأ .

(فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) أي من نعيم الجنة من اللباس والمنزل الرحب والرزق الهنيء والراحة .

(بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) أي: آدم وذريته; أعداء لإبليس وذريته، ومن المعلوم أن العدو; يجد ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشر إليه بكل طريق; وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا, تحذير بني آدم من الشيطان

كما قال تعالى (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)6فاطر

قال تعالى (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا) 50 الكهف

⇦ثم ذكر منتهى الإهباط إلى الأرض،

فقال: (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) أي: مسكن وقرار، (وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم،

⇦ففيها أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكنا حقيقيا، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار.

⇦(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

✉وهذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالى (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) 23الاعراف

✍وهي قوله: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا الآية، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته

⇦(فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) لمن تاب إليه وأناب.

(إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ) اسم من أسماء الله ، والتواب صيغة مبالغة لكثرة توبته وكثرة من يتوب عليهم .

🗐 معناه : التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين من ذنوبه .

✉قال السعدي: هو التائب على التائبين ❶: بتوفيقهم للتوبة ، والإقبال بقلوبهم إليه ، وهو التائب على التائبين بعد توبتهم ❷قبولاً لها وعفواً عن خطاياهم .

✉ووصف نفسه سبحانه بالتواب – وهي صيغة مبالغة – لكثرة من يتوب عليهم ، ولكثرة توبته على العبد

🗐وتوبة الله على العبد نوعان :

❶: توفيق الله للعبد للتوبة ، كما قال تعالى (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) بمعنى وفقهم للتوبة ليتوبوا .

❷ : قبولها من العبد إذا تاب (إذا اجتمعت شروطها)، كما قال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) . [قاله الشيخ ابن عثيمين] .

✉ أن الله يتوب على التائبين ، ويغفر ذنوب المنيبين ، مهما كثرت وعظمت .

قال تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) .

وهذا داعي للحياء من الله ، البر الرحيم التواب الغفور ، الذي يفرح بتوبة عبده ، وهذا الحياء إذا تمكن من القلب أثمر تعظيماً لله وحياء منه ، ومبادرة إلى طاعته وترك معاصيه قدر الجهد والاستطاعة .

⇦الرَّحِيمُ بعباده، ومن رحمته بهم، أن وفقهم للتوبة، وعفا عنهم وصفح.

(الرَّحِيمُ) اسم من أسماء الله دال على إثبات صفة الرحمة الواسعة لله تعالى ، كما قال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) وقال تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) .

والرحمة المضافة إلى الله تعالى نوعان :

❶ : رحمة ذاتية موصوف بها سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه ، يجب إثباتها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ، كما قال تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) وقال تعالى (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ) .

❷ : رحمة مخلوقة أنزل الله منها رحمة واحدة يتراحم بها الخلائق وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة .

كما قال ε(إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) رواه مسلم

ورحمة الله تعالى لعباده نوعان :

❶ : رحمة عامة .

وهي لجميع الخلائق بإيجادهم ، وتربيتهم ، ورزقهم ، وإمدادهم بالنعم والعطايا ، وتصحيح أبدانهم ، وتسخير المخلوقات من نبات وحيوان وجماد في طعامهم وشرابهم ، ومساكنهم ، ولباسهم ، وحركاتهم ، وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى

❷ : رحمة خاصة .

وهذه الرحمة لا تكون إلا للمؤمنين فيرحمهم الله في الدنيا بتوفيقهم إلى الهداية والصراط المستقيم ، ويثبتهم عليه ، ويدافع عنهم وينصرهم على الكافرين ويرزقهم الحياة الطيبة ويبارك لهم فيها ، ويمدهم بالصبر واليقين عند المصائب ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ويكفرها بالمصائب ، ويرحمهم في الآخرة بالعفو عن سيئاتهم والرضا عنهم والإنعام عليهم بدخول الجنة ، كما قال تعالى (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً) .

الآثار المرتبة على معرفتنا بهذا الاسم :

❶ : محبة الله المحبة العظيمة ، وذلك حينما يفكر العبد وينظر في آثار رحمة الله في الآفاق وفي النفس والتي لا تعد ولا تحصى ، وهذا يثمر تجريد المحبة لله والعبودية الصادقة له سبحانه وتقديم محبته على النفس والأهل والمال والناس جميعاً .

❷ : عبودية الرجاء والتعلق برحمة الله وعدم اليأس من رحمة الله تعالى ، فإن الله قد وسعت رحمته كل شيء ، وحسن الظن بالله وانتظار الفرج بعد الشدة من أجل العبادات .

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) .

فإن قيل ما الحكمة من إهباط آدم من الجنة ؟ ذكر ابن القيم رحمه الله عدة حكم :

❶ : ليعود إليها على أحسن أحواله ، فأراد سبحانه أن سيذيقه وولده من نصب الدنيا وغمومها وهمومها ما يُعظّم به عندهم مقدار دخولهم إليها في الدار ، فإن الضد يظهر حسنه الضد ، ولو تربوا في دار النعيم لم يعرفوا قدرها .

❷ فإنه سبحانه أراد أن يتخذ منهم أنبياء ورسلاً وأولياء وشهداء يحبهم ويحبونه، فخلّى بينهم وبين أعدائه، وامتحنهم بهم، فلما آثروه وبذلوا نفوسهم وأموالهم في مرضاته ومحابه ، نالوا من محبته ورضوانه والقرب منه ما لم يكن ليُنال بدون ذلك أصلاً ، فدرجة الرسالة والنبوة والشهادة والحب فيه والبغض فيه وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه عنده من أفضل الدرجات ، ولم يكن يُنال هذا إلا على الوجه الذي قدّره وقضاه من إهباطه إلى الأرض .

كرر الإهباط، ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) أي: أيَّ وقت وزمان جاءكم مني - يا معشر الثقلين- هدى, أي: رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني; ويدنيكم من رضائي،

(فمن تبع هداي) منكم, بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب، والامتثال للأمر والاجتناب للنهي،

(فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أي فيما يستقبلونه من أمر الآخرة .

(وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما فاتهم من أمور الدنيا ، فهم في سرور دائم ، لا يعرض لهم حزن على ما فات .

(فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

وفي الآية الأخرى: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) طه

فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء:

❶نفي الخوف والحزن والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، فنفاهما عمن اتبع هداه وإذا انتفيا، حصل ضدهما، ❀وهو الأمن التام، وكذلك ❷نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هداه وإذا انتفيا ثبت ضدهما، ❀وهو الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه، من ❀الخوف، ❀والحزن، ❀والضلال، ❀والشقاء، فحصل له المرغوب، واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع هداه، فكفر به، وكذب بآياته.

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) .

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) .

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا) ولم يؤمنوا بالله ولا برسوله .

(وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أي : الآيات الشرعية ، وهي الوحي المنزل من الله .

وسميت آيات ، جمع آية ، لأنها علامة على صدق من جاء بها .

وآيات الله تنقسم إلى قسمين :

❶الآيات الكونية القدرية : (فهي مما نشاهده مما لا يستطيع البشر أن يخلقوا مثلها) .

⇦وهي ما نصبه الله (جل وعلا) ليدل به خلقه على أنه الواحد الأحد المستحق للعبادة، كالشمس والسماء والأرض ونحوها، وكل ما في الكون من مخلوقات الله شاهد بكمال الله وقدرته وعزته وأنه المستحق للعبادة .

الكفر بالآيات الكونية يكون بأمور: أن يجحد أن الخالق سبحانه خلقها فيدعي أن الذي خلقها غير الله، أو أن يعتقد أن له شريكاً في خلقه ، أو أن له معيناً في خلقه .

❷الآيات الشرعية : وهي الوحي المنزل من الله .

والكفر بالآيات الشرعية إما بجحودها ، أو بتكذيبها ، أو بالاستكبار والعناد .

فـ (أولئك أصحاب النار) أي: الملازمون لها، ملازمة الصاحب لصاحبه، والغريم لغريمه، (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

الخلود خلودان: ❶خلود دائم أبداً لا ينتهي، وهذا هو خلود الكفار في النار، كما قال الله سبحانه في شأنهم: (كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)البقرة ، وقال في سورة المائدة: (يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (37)المائدة

أما العصاة من الموحدين ❷ف خلود مؤقت كقاتل النفس بغير حق والزاني والعاق لوالديه وآكل الربا وشارب المسكر إذا ماتوا على هذه المعاصي وهم مسلمون، وهكذا أشباههم هم تحت مشيئة الله؛ كما قال سبحانه: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)48النساء، فإن شاء جل وعلا عفا عنهم لأعمالهم الصالحة التي ماتوا عليها وهي توحيده وإخلاصهم لله وكونهم مسلمين، أو بشفاعة الشفعاء فيهم مع توحيدهم وإخلاصهم.

وقد يعاقبهم سبحانه ولا يحصل لهم عفو فيعاقبون بإدخالهم النار وتعذيبهم فيها على قدر معاصيهم، ثم يخرجون منها، كما تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه يشفع للعصاة من أمته.

وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي.